

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### العِشْرَةُ الْحَسَنَةُ . . . عِبَادَةٌ وَأَثَرُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَخْلَاقَ سِيَجَا يَحْمِي الْمُجْتَمَعَاتِ مِنَ الْفِتَنِ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّعَامُلِ الْحَسَنِ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَكْرَمُهُمْ مُعَامَلَةً، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ تَغَيَّرَتْ أَنْمَاطُ الْحَيَاةِ، وَتَغَيَّرَتْ مَعَهَا طَرَائِقُ تَوَاصُلِ النَّاسِ وَتَلَاقِيهِمْ؛ فَلِقَاءَاتُ كَانَتْ تَجْمَعُ النَّاسَ لِلْحَدِيثِ وَالتَّوَاصُلِ، أَصْبَحَتْ شَاشَاتُ الْهَوَاتِفِ حَاضِرَةً فِي كَثِيرٍ مِنْهَا، وَقَرَّبَتْ وَسَائِلُ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْبَعِيدِينَ، لَكِنَّهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ شَغَلَتْ الْقَرِيبَ عَنْ قَرِيبِهِ. وَفِي خِصْمِ هَذَا التَّغْيِيرِ تَزْدَادُ حَاجَتُنَا إِلَى آدَابِ الْعِشْرَةِ وَحُسْنِ التَّعَامُلِ؛ فَهِيَ مِنْ هَذِي الْإِسْلَامِ، وَعِبَادَةُ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَى رَبِّهِ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ التَّعَارُفَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ حِكْمِ اخْتِلَافِهِمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ قَدْ أَرْسَيَا لَنَا أُصُولًا رَاقِيَةً فِي شَأْنِ الْعَلَاqَاتِ بَيْنَ النَّاسِ، تَجْعَلُ الْعِشْرَةَ الْحَسَنَةَ وَاقِعًا عَمَلِيًّا فِي حَيَاتِنَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأُصُولِ مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ (الْمَسَافَةَ الْأَمْنَةَ) فِي



العلاقات، وهي المسافة التي تحفظ للإنسان خصوصيته، وتصون العلاقة من التدخل فيما لا يعني. فمع تدقيق المعلومات الذي جعل الاطلاع على تفاصيل حياة الناس أمرًا يسيرًا، تزداد حاجتنا إلى هذا الأدب القرآني الرفيع، فقد نهى الله تعالى عن سوء الظن والتجسس فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾<sup>(١)</sup>. ومن حسن العشرة أن يتعافل الإنسان عن الهفوات غير المقصودة، وألا يحمل أقوال الآخرين وأفعالهم ما لا تحتمل، أو يفتش في نياتهم ومقاصدهم؛ فكم من علاقة أفسدها سوء الظن وتتبع العثرات، وكم من مودة حفظها التعافل وحسن الظن، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. أما الأصل الثاني -عباد الله- فهو أن يترك الإنسان أثرًا طيبًا فيمن حوله، بحسن القول، ولين الجانب، وجميل المعاملة. وقد أمر الله تعالى بذلك فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾<sup>(٣)</sup>، فليحرص المسلم على أن يكون حضوره خفيفًا على النفوس، وكلامه باعًا على الألفة، بعيدًا عن كثرة النقد ومرارة اللسان، وقد قال النبي ﷺ: ((يسرُّوا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا)). ومن حسن العشرة أن يجد الناس في صحبتك راحةً وأمانًا من الأذى، وذلك بأن تحسن الاستماع، وتقبل العذر، وترفق بالضعيف، وتواسي صاحب الحاجة، وتختار من القول أطيبه. وقد كان النبي ﷺ مثلًا أعلى في حسن معاشرته الناس، يجمع بين لين الجانب وحفظ اللسان، وقد بين السيدة عائشة رضي الله عنها يومًا، وقد رآته يحسن الحديث لمن أساء إلى المسلمين من قبل فاستغربت، فقال لها ﷺ: ((يا عائشة، متى عهدتني فحاشًا؟ إن شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شربه)).

فاتَّقوا الله -عباد الله-، واعلموا أن لتقوى الله أثرًا يظهر في تعاملاتكم، في أسواقكم وبيوتكم، ومع جيرانكم، وفي طرقاتكم، قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

أقول ما تسمعون وأسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

(١) الحجرات: ١٢  
(٢) الشورى: ٤٠  
(٣) البقرة: ٨٣  
(٤) الأنفال: ١



الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، خَيْرُ النَّاسِ لِلْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّهْذِيبِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ جَمَالِ هَذَا الدِّينِ أَنَّهُ جَعَلَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ سُلُوكًا يَعْيشُهُ الْمُسْلِمُ فِي تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ، وَأُولَى النَّاسِ بِحُسْنِ عِشْرَتِهِ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ: وَالِدَاهُ، وَأَهْلُهُ، وَأَوْلَادُهُ. فَلَا يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهِ طَلْقٍ وَكَلَامٍ حَسَنٍ، ثُمَّ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ عَبُوسًا، أَوْ عَلَى أَهْلِهِ غَلِيظًا، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ))، فَلْيَكُنْ لِأَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ بَشَاشَتِكَ، وَلِيْنِ كَلَامِكَ، وَصَبْرِكَ النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ؛ فَهُمْ أُولَى النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِكَ. ثُمَّ تَمْتُدُّ الْعِشْرَةَ الْحَسَنَةَ إِلَى مَنْ حَوْلَكَ، فَتَحْفَظُ مَوْعِدَكَ، وَتَلْقَى زَمِيلَكَ بِبَشَاشَةٍ، وَتَكْفُثُ أَذَاكَ عَنْ جَارِكَ، وَتُشَارِكُهُ أَفْرَاحَهُ وَأَتْرَاحَهُ، وَتُحْسِنُ إِلَى مَنْ تَجْمَعُكَ بِهِمْ صَلَةً أَوْ جَوَارًا، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ هَذِهِ الْحُقُوقَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١)، وَهَكَذَا تَقْوَى الْمُجْتَمَعَاتُ بِحُسْنِ مَا بَيْنَ أَفْرَادِهَا مِنْ صَلَاتٍ، وَبِمَا يَتَحَلَّلُونَ بِهِ مِنْ أَخْلَاقٍ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ عِبَادَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَى رَبِّهِ، وَآثَرُ يَمْتَدُّ مِنَ الْفَرْدِ إِلَى أُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ. وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: ((تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاجْعَلُوا مِنْ لِقَاءِ اتِّكُمْ، وَتَوَاصُلِكُمْ، وَكِتَابَاتِكُمْ عَلَى مَنَصَّاتِ التَّوَاصُلِ، وَنَظَرَاتِكُمْ الْمُبَاشِرَةِ لِلنَّاسِ، رِسَالَةَ سَلَامٍ وَأَمْنٍ وَتَقَاءٍ: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الْهَادِي الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣).

(١) النساء: ٣٦

(٢) فصلت: ٣٤، ٣٥

(٣) الأحزاب: ٥٦



اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبَّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمَةً، وَالسَّيِّئَةَ صَادِقَةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَآيِدِهِ بِالْحَقِّ وَآيِدِ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَآيِدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

